مقدمـــــة

خروتشـوف و ناصر... كان من الصعب في أول لقاء يجمع بينهما في أبريل ١٩٥٨ في موسـكو أن تجـد زعيمـي دولتين على هـذا القدر مـن الاختلاف في الهيئة والمظهر: نيكيتا سيرجيفيتش خروتشوف، ذلك الزعيم المخضرم، قصير القامـة (١٨٩٤/٤/١٢ـ ١٩٧١/٩/١١) والرئيـس جمـال عبدالناصر، الشـاب الصغير السـن، طويـل القامة (١٩١٨/١/١٥ـ ١٩٧١/٩/٢٨) . لقد كان لدى الزعيمين خبرة وحنكة سياسـية لا تُقارن. فقد قضى خروتشـوف سنوات طويلة من عمره في « سـلّم» الجهاز الحكومي لكيان الاتحاد السـوفيتي . كذلك الحال بالنسبة لعبدالناصر، الذي كان يترأس ثورة ١٩٥٢ للقضاء على النظام الملكي بالبلاد ثـم أصبح رئيسًـا للبـلاد بعد أربع سـنوات . وعلـى الرغم من وجـود اختلافات أيدولوجيـه في وجهات النظـر فيما بينهما، إلا أن المصلحة العامة هي التي كان لها النصيب الأكبر, وكان الأهم هو انتزاع مصر من براثن تبعيتها لدول الغرب.

لم تشـهد العلاقـات الثنائيـة بـين الاتحـاد السـوفيتي والجمهوريـة المصرية تطوراً سـريعاً، فقد أشـار ن.س.خروتشـوف في مذكراته يقـول : « في البداية وبعـد حدوث الانقلاب ووصول العقيد ناصر إلى السـلطة، لم يـكن بمقدورنا تحديد الوجهة التي ستنتهجها القيادة الجديدة على الصعيد السياسي الخارجي والداخلـي . ولكننـا توصلنا إلى أن مـا حدث هو احد الانقلابات العسـكرية التي اعتدنا عليها في أمريكا الجنوبية, ولم نتوقع أي جديد في سياسـة البلاد . وبالتالي لم يكن لدينا أي حل آخر سـوى الانتظار، لكي نرى التوجه الجديد لتلك الحكومة الجديدة».

حدث تغير في صيف ١٩٥٥، حيث وجّهت القيادة المصرية الدعوة للوفد السوفيتي للمشاركة في الاحتفال بالذكرى الثالثة على ثورة يوليو١٩٥٢ . وكان الوفد برئاسة د.ت شيبيلوف، كان يتقلد عدة مناصب، حيث كان رئيساً لتحرير صحيفة (برافدا) ورئيساً للجنة العلاقات الدولية بالمجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي . وأثناء الاحتفال بميدان التحرير، ألقى ناصر كلمته وكان آنذاك رئيساً للوزراء، وكان رئيس الوفد السوفيتي يكاد يبارك كل كلمة نطق بها ناصر في خطابه، حول زيادة الإصلاح الزراعي، تطوير الاقتصاد القومي، إعداد الكوادر المؤهلة، تحسين التعليم والصحة وتوفير مياه الشرب للقرى .....

وعقب الاحتفالية، طرح شيبيلوف اقتراحًا لإجراء لقاء شخصي مع الرئيس المصري[١]. وقدم شيبيلوف في موسكو تقريراً حول تفاصيل ذلك اللقاء الودي ولم يعلن تفاصيل ذلك التقرير . ولكن كان هناك حقيقة واحدة تدل على أمور كثيرة تتمثل في أن شيبيلوف قبيل مغادرته القاهرة، التقط الكثير من الصور الفوتوغرافية للعرض العسكري الذي كان يقوم به الجيش المصري آنذاك، المسلحون بالبنادق التي تعود للحرب العالمية الأولى وبعض وحدات من المدرعات القديمة»[٢].

تناولت القيادة السوفيتية تقرير شيبيلوف بمزيد من الدراسة والبحث وفي أقل من شهرين، و بالتحديد في الثاني عشر من سبتمبر، تم إبرام اتفاق حول توريد أكبر صفقة أسلحة سوفيتية إلى مصر، وكانت البداية مع الطائرات والدبابات وذلك مقابل القطن والأرز . وتقرر بعد ذلك أن تتم الصفقة من خلال دولة تشيكوسلوفاكيا . وبعد نصف عام بدأ يصاحب الأسلحة ضباط سوفييت يحملون جوازات سفر تشيكوسلوفاكية. ولم تكن موسكو لها يد في ذلك، غير أن هذا قد أسهم في دفع العلاقات السوفيتية – المصرية دفعة قوية .

(١) خطأ : تم اختيار ناصر رئيسًا للبلاد في يونيه ١٩٥٦.
(٢) بريماكوف، يفجيني . الشرق الأوسط في المسرح وخلف الكواليس، موسكو ٢٠٠٦، ص٥٧.

نشرت صحيفة «برافدا» في عددها الصادر في الحادي عشر من أغسطس ١٩٥٥ خبرًا من القاهرة : «جاء في البيان الرسمي المعلن هنا من الحكومة المصرية ما يفيد بأن الحكومة السوفيتية وجهت الدعوة لرئيس الوزراء المصري جمال عبدالناصر لزيارة أراضي الاتحاد السوفيتي في الوقت المناسب له، وقد تلقى سيادة رئيس الوزراء تلك الدعوة، ويعتزم الذهاب إلى الاتحاد السوفيتي في ربيع ١٩٥٦»[٣].

يبدو وأن شيبيلوف قد سلَّم الدعوة لعبدالناصر ولكن وقعت بعد ذلك عدة أحداث كبرى : تأميم قناة السويس، العدوان الثلاثي (الأنجلو ـ فرنسي – إسرائيلي) على مصر ١٩٥٦، إعلان الوحدة بين مصر وسوريا ... وجاءت زيارة جمال عبدالناصر باعتباره رئيسًا لجمهورية مصر العربية إلى الاتحاد السوفيتي بعد مرور ثلاث سنوات من تلك الدعوة، تمت الزيارة في الفترة من ٢٩ أبريل إلى ١٦ مايو ١٩٥٨ , وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقى فيها جمال مع ن.س.خروتشوف . كتب خروتشوف في مذكراته حول هذا اللقاء يقول : «لقد ترك (يقصد ناصر ـ المؤلف) انطباعاً جيداً لديّ، فهو شاب، ذكي، على دراية بأمور عدة، دائماً ما تنير الابتسامة وجهه . وأقول في كلمة واحدة إنه أعجبني».

وبعد مرور نصف عام على زيارة جمال عبدالناصر للاتحاد السوفيتي، قرر خروتشوف إجراء أول لقاء مع صحفي مصري . في الثامن عشر من نوفمبر ١٩٥٧ استضاف القائد السوفيتي الصحفي محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير أكبر صحيفة مصرية آنذاك وهي صحيفة " الأهرام". جاء هيكل إلى موسكو برفقة عبد الحكيم عامر، نائب الرئيس المصري، الذي تم دعوته للمشاركة في الاحتفال بالذكرى الأربعين على ثورة أكتوبر . استطاع هيكل، الصديق المقرب للرئيس المصري، الذي ترأس صحيفة «الأهرام» حتى عام ١٩٧٤، بتحقيق ما لم يلحق ناصر فعله بسبب انتهاء حياته سريعاً :

(٣) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الفدرالية، موضوع مصر، الحافظة رقم ٢٢، ملف رقم ٢٢، السطر الثاني .

حيث نجح هيكل في وضع كتاب حول تاريخ العلاقات المصرية – السوفيتية[٤]. وقد تم استخدام الكثير من المقتطفات من هذا الكتاب في كتاب حول مذكرات خروتشوف؛ مما ساعد في الحصول على صورة موضوعية إلى حد ما حول طبيعة العلاقات بين زعيمي الدولتين.

بيد أن هذه العلاقات لم تسر على ما يرام طول الوقت وذلك على الرغم من الاهتمام والحرص المتبادل للزعيمين للحفاظ على توازن تلك العلاقات. ففي الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٨، أثناء الخطاب الجماهيري الذي ألقاه عبدالناصر في عيد النصر بمدينة بورسعيد، كان قد هاجم الحزب الشيوعي السوري متهماً إياه بالعمل ضد الوحدة والقومية العربية. ووصف هذا الموقف بأنه رد فعل نابع من السياسة الصهيونية. ثم جاء رد خروتشوف في غضون شهر، حيث أعلن في الكلمة التي ألقاها في التاسع والعشرين من يناير ١٩٥٩ في الاجتماع الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، أنه لا يصح اتهام الشيوعيين بأنهم يعملون ضد المصالح القومية للدول العربية. وأضاف يقول: « إنه من السذاجة تشبيه الشيوعيين بالصهاينة».

وعلى مدار عام ١٩٥٩ ظل الزعيمان السوفيتي والمصري يتبادلان الرسائل المطولة التي تبرر صحة موقف كل منهما و عمل لقاءات للدفاع عن موقفهم. لم يذهب خروتشوف إلى مصر أثناء الاحتفال ببداية إنشاء السد العالي في التاسع من يناير ١٩٦٠، وأثناء استقباله في إحدى السفارات أوضح يقول، كما جاء على لسان هيكل: «لقد نسينا خلافنا مع مصر، وكل ذلك كان مجرد سوء فهم ومضيعة للوقت»[٥].

وبعد ذلك بدأت تنتظم العلاقات بشكل واضح، وخير دليل على ذلك يتمثل في ذلك اللقاء الذي جمع الزعيمين في نيويورك في سبتمبر ١٩٦٠.

---

(٤) هيكل، محمدحسنين. أبو الهول و المفوض. " صعود وسقوط العدوى السوفيتية في العالم العربي. لندن، ١٩٧٨.

(5) **Heikal, Mohamed. Op. cit., p. 111**

وفي صيف العام التالي بدأت الحكومة المصرية في شن هجوم على الطبقة البرجوازية التي لم تكن ترغب في المساهمة بأموالها في مجال الصناعة. الأمر الذي أدى إلى انهيار مصر وانسحاب سوريا منها في سبتمبر .وبدا أن خروتشوف كان على حق عندما لم يساند فكرة الوحدة بين مصر وسوريا .لأنهم أخذوا يقطعون سوريا بالمشط المصري وليس ناصر. وقد أثر هذان الحدثان الكبيران على الرئيس ناصر وأسهما في تقريب وجهة نظره مع خروتشوف. ثم جاءت ذروة انتعاش العلاقات بين الزعيمين في إطار الزيارة التي أجراها الرئيس خروتشوف إلى مصر في مايو ١٩٦٤ وذلك للاحتفال بمناسبة تحويل مجرى النيل. وكانت الزيارة طويلة لدرجة أن خروتشوف التقى أكثر من مرة مع الرئيس عبدالناصر وباقي قيادات الدولة المصرية. وسرعان ما تم إعلان الكثير من الوثائق الرسمية حول هذه الزيارة [٦] لدرجة أنه لا داعي لإدماجهم في هذا الكتاب. وهناك الكثير من المقتطفات حول تلك الزيارة التي أوردها هيكل في كتابه و خروتشوف في مذكراته.

ولم يرد في الكتاب أي صدى للعلاقات السوفيتية – المصرية الوثيقة والمتعددة المجالات حول تلك المرحلة سوى ما نُشر إعلاميًا من وثائق ومواد. لم يهتم أي أحد بهذه المهمة. غير أن زعيمي الدولتين نيكيتا خروتشوف و جمال عبدالناصر قد بذلا الكثير من الجهود لتنمية تلك العلاقات، الأمر الذي يستحق أن يتم تكريس هذا العمل من أجلهم.

المؤلِّف : ف.ف. بلياكوف

(٦) أسوان : رمز الصداقة السوفيتية – العربية، زيارة ن.خروتشوف السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي الى جمهورية مصر العربية . ٩–٢٥ مايو ١٩٦٤، موسكو ١٩٦٤ .

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

نحن نساند سياسة ناصر «من مذكرات ن. س. خروتشوف» [٧]

أريد هنا في بداية الحديث الكتابة عن مصر وعن طبيعة العلاقات مع الدولة المصرية والقيادة الجديدة، التي وصلت إلى مقاليد الحكم بعد الثورة، التي قام بها شباب ضباط الجيش المصري بزعامة ناصر وعامر.

سبق وأن ذكرت أن الملك فاروق، حاكم مصر، قد توجه بطلب إلى ستالين يطلب فيه الحصول على سلاح لمواجهة القوات الإنجليزية المحتلة مصر آنذاك. غير أن ستالين رفض هذا الطلب. ولا أعلم تحديداً ماذا كانت طبيعة هذا الرد، غير أن الأوساط المحيطة بستالين , التي كانت على صلة بهذا المطلب، قالت إن الرد جاء على هذا النحو : « هذا الطلب مرفوض، لأنه لا يجب علينا التدخل في هذا الشأن لأن مصر تدخل ضمن نطاق نفوذ بريطانيا ؛ ولهذا فلا داعي لذلك». ثم جاء بعد ذلك يوم عيد ميلاد الملكة، زوجة الملك فاروق، أو دعونا نقل أنها كانت حجة ما، ليقوم ستالين بإرسال هدية إلى ملكة مصر عبارة عن حرملة (إيشارب) من جلد السمور الثمين.

أقول ذلك لنعلم كيف كنا نتعامل مع مصر، وهذا لا يعني أننا لم نكن نرغب في تقديم المساعدة، بل على النقيض من ذلك، فقد كنا نريد أن ينجح الشعب المصري في التخلص من براثن الاستعمار في أسرع وقت ممكن، وهذا من صالح الشعب المصري والسوفيتي والبشرية جمعاء. ولكن يبدو أن ستالين

(٧) الأرشيف الروسي الحكومي للتاريخ المعاصر، مخزن رقم ٥٢، ن. س. خروتشوف، قائمة رقم ٢، موضوع رقم ٨، الأسطر: من ١–٥، نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة.

obeikandl.com

قد شعر في هذا الوقت، الذي توجه فيه فاروق بطلب السلاح منه، أنه لم يكن بالقوة الكافية التي تؤهله لمساعدة مصر بالسلاح، وأعتقد أن الملك كان يرغب في الحصول على هذا السلاح بصورة سرية، ولكن كيف يتم توريد سلاح بشكل سرى إلى دولة تنتشر فيها القوات الإنجليزية، غير أن هذا السر لن يصير سراً الآن على الطرف الذي كان محجوباً عنه .

بعد الانقلاب الأول، أرى من وجهة نظري، أن ناصر و عامر لم يشغلا مناصب قيادية، وترأس الحكومة آنذاك قائد عسكري ولكني لا أتذكر اسمه [٨]، وكان يشايع التيار التقدمي، من وجهة نظرنا. فقد كان يساند فكرة طرد الإنجليز من مصر، ولكن من أجل الحفاظ على دعائم الطبقة الرأسمالية في البلاد، التي نشأت وترعرعت في مصر. ولا أتذكر هنا مدة تلك الفترة الزمنية، غير أن العسكرية المصرية قامت بإسقاط رئيس الحكومة [٩].

لم نستطع تحديد الاتجاه الذي تسير عليه السياسة الخارجية والداخلية للقيادة الجديدة بعد حدوث الانقلاب ووصول العقيد عبدالناصر إلى الحكم . كنا نميل إلى تقدير ما حدث أنه أحد الانقلابات العسكرية، التي اعتدنا عليها في أمريكا الجنوبية ولم نتوقع أي جديد من ذلك الانقلاب. ولم يكن أمامنا أي مخرج آخر سوى الانتظار لرؤية الاتجاه الذي ستنتهجه القيادة الجديدة.

لا أتذكر تحديداً متى تقدم المصريون بعد وقوع الانقلاب بطلب الحصول على السلاح لدينا، وهذا يعني أنهم فكروا جدياً في اتخاذ الإجراءات اللازمة لطرد الإنجليز من مصر، الأمر الذي يتطلب وجود جيش قوي يملك السلاح. وقد قررنا من جانبنا تقديم المساعدة لهم . ولا أتذكر على أي أساس تم تقديم تلك المساعدة ولكنى أعتقد أن تكون على أساس التجارة وليس بكامل التكلفة وإنما بسعر اقتصادي . ولا أعلم حجم السلاح الذي قمنا ببيعه

(٨) محمد نجيب .

(٩) صدر قرار في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ حول تجريد اللواء محمد نجيب من كافة المناصب التي يتولاها, ووضعه تحت الإقامة الجبرية.

obeikandl.com

للمصريين، ولكنه لن يخرج عن كونه سلاح مشاه و مدفعية ولا أعتقد أن يكون بينهم سلاح الطيران [١٠].

لقد انتهج المصريون سياسة تحمل العزة والكرامة وساروا يتحركون بشكل نشط ضد الإنجليز وطالبوا بخروجهم من الأراضي المصرية، أدرك الإنجليز أنه لم يعد أمامهم أي مخرج آخر سوى استيعاب كيفية التعامل مع المطالب القومية للمصريين وقد وافقوا على سحب قواتهم من البلاد وتم إخراج القوات، ولكني لا أتذكر متى خرجت القوات الإنجليزية بعد وصول العقيد ناصر إلى السلطة[١١]، وهذا جعلنا متأكدين من ضرورة الاهتمام بتحقيق مطالب هذه الحكومة، خاصة وأنها حكومة غير عادية وصلت إلى الحكم عقب وقوع الانقلاب العسكري، بل هي حكومة تقوم بالفعل بتنفيذ المطالب الوطنية لشعبها، وهي حكومة تستحق الدعم والاهتمام إذا ما حافظت على مصالح شعبها ودافعت عنها في مواجهة الاستعمار.

لقد كان من الصعب تحديد السياسة التي تنتهجها الحكومة الجديدة للمصريين . ترى ما هي الأهداف الاجتماعية – السياسية التي تسعى لتحقيقها هذه الحكومة؟ وما الركيزة التي تستند عليها الحكومة لتطوير ودعم بلادها؟ خاصة وأنه لم يتم المساس برأس المال والبنوك، فقد كان انقلاباً وطنياً. ونرى أن تلك الحكومة التي وصلت إلى السلطة هي حكومة برجوازية، وكان من مصلحتنا مساندة ودعم تلك الحكومة لأنها تهدف لمقاومة النفوذ الاستعماري لإنجلترا مما يعني إضعاف نفوذ إنجلترا في منطقة الشرق الأوسط وهذا يصب في صالح الاتحاد السوفيتي . لأن إنجلترا كانت تعتمد على الشرق الأوسط منتهجة سياسة معادية للاتحاد السوفيتي؛ ولهذا كنا نساند سياسة عبدالناصر.وفي عهد الرئيس اليوغسلافي تيتو، كانت هناك علاقات جيدة مع مصر . فعندما ذهب تيتو إلى الهند على متن باخرة، كان قد

(١٠) تم توريد سلاح الطيران عبر أراضي يوغسلافيا في نهاية عام ١٩٥٥

(١١) انسحبت القوات الإنجليزية بالكامل من مصر في الثالث عشر من يونيه ١٩٥٦ .

obeikandl.com

مر عبر قناة السويس وزار العديد من الدول من بينها إندونيسيا، الهند ومصر. وكانت الصحافة اليوغسلافية قد كتبت الكثير عن السياسة المصرية آنذاك وقيادتها الجديدة التي تُعد قيادة تقدمية وتستحق الرعاية والدعم.

لم تكن قد نشأت لدينا علاقات جيدة مع يوغسلافيا ولكنها تحسنت بعد اللقاء مع تيتو وتبادل الآراء حول القضايا الدولية وتطرقنا للحديث عن الشأن المصري. وتحدث الرفيق تيتو بشكل جيد عن سياسة ناصر وقلتُ آنذاك: «من الصعب فهم ما الذي يريد أن يقوله في حديثه، هل يريد تكوين طبقة تقدمية؟ ولكن كيف ذلك؟ فهو لم يمس لا الطبقة البورجوازية ولا الرأسمالية ولهذا فمن الصعب علينا تقييم الأهداف التي يرغب تحقيقها من وراء تلك السياسة». أكد الرفيق تيتو على أن ناصر ما زال شابًا صغير السن، يفتقر إلى الحنكة السياسية، غير أنه يحمل نوايا طيبة، ولم يجد الركائز الضرورية لكي يقف عليها. ولكن يجب الوقوف إلى جانبه وتقديم الدعم اللازم له لأنه يريد مستقبلاً جيداً لشعبه. ويمكن الاتفاق معه وممارسة الضغط عليه لصالح التيار الشيوعي. وأريد أن أوضح هنا إنني أقصد من ذلك الضغط الذي سيمارس على ناصر، إنه ضغط لا يهدف لتحقيق مصالح استغلالية لصالح من يؤثر عليه. فهنا سنجد امتزاجًا في المصالح: بين مصالح هؤلاء الذين يريدون فرض نفوذهم وسلطتهم، ومصالح الشعب الذي يراد به التأثير على قيادته. هنا المصالح متبادلة، فهي ليست مؤامرة لطرف ضد آخر، بل هي رغبة طرف ما في مشاركة خبراته وتقديم المساعدة والدعم للطرف الآخر لكي يعود عليه بالنفع.

ولكننا نتعامل بمستوى من الحيطة والحذر مع ناصر، لقد ساندناه بالفعل ووفرنا له كمية كافية من السلاح. قدمنا له سلاحاً بحريًا ممثلاً في زوارق الطوربيد وأعتقد أننا بعنا له شيئًا ما من سلاح الطيران لا يهم هنا ذكر ذلك التوقيت الذي قمنا فيه بذلك، ولكن يكفي أننا بعنا له كل أنواع الأسلحة في نهاية الأمر: أسلحة مشاة، مدفعية، دبابات، هذا بالإضافة إلى زوارق الطوربيد وبعنا له الكمية التي كان يحتاجها ناصر.

أرى من وجهة نظري أن ناصر بدأ يتحدث في خطبه الكلامية عن بناء الاشتراكية وذلك بعد تأثره بالرفيق تيتو.ولكنه أوضح مفهوم الاشتراكية التي تحدث عنها بشكل لا نفهمه نحن، لدرجة جعلتنا نعتقد أنه هو نفسه لا يدرك ما يقول أو أنه يقصد ما يقول بالفعل . لأن كلمة « الاشتراكية « في الظروف الحالية أصبحت مصطلحًا معاصراً يتواكب مع الموضة . حتى إن هتلر أدخل لفظ الاشتراكية في حزبه، ولكن العالم كله يعلم ما هي طبيعة تلك الاشتراكية ؛ ولهذا فإننا نتعامل بحذر مع هؤلاء الذين يتسلحون بلفظ «الاشتراكية» دون أن يوضحوا مفهومهم لتلك الكلمة، وكيف يفكرون في الاستفادة منها وما الأهداف التي يسعون لتحقيقها من ورائها .

لقد كان لدينا علاقات طيبة مع سوريا وحكومتها قبل هذا الوقت . حيث كنا نساند الحزب الشيوعي السوري، الذي كان واحدًا من أقوى الأحزاب في دول العالم العربي . كان ومازال يترأسه الزعيم المحنك خالد بكداش . فقد شهدت سوريا في ذلك الوقت حركة قوية ذات طابع ديمقراطي وكان هناك ضغط يُمارس على الحكومة بهدف انتزاع التنازلات الاشتراكية – السياسية لصالح شعب سوريا . وكانت الطبقة البورجوازية وأصحاب الأملاك في حالة فزع ورعب شديد، حيث رأوا بأعينهم حجم تلك القوة التي يجمعها الحزب الشيوعي ومدى تأثيره على الرأي العام في البلاد ؛ ولهذا فقد ظلوا يبحثون عن أي وسيلة للتخلص من النفوذ الشيوعي وسعوا نحو إبقاء الدولة على دعائم وركائز الرأسمالية .

وفجأة ظهرت فكرة الوحدة بين مصر وسوريا . وبدأت حملة إعلامية كبيرة في الصحف للترويج لهذه الفكرة . وكان هناك بالفعل قوى كبيرة في مصر وسوريا تساند تلك الفكرة، التي لم يكن بها أي توجه تقدمي . أولاً لأن سوريا كانت دولة بورجوازية – ديمقراطية ذات برلمان ولديها حزب شيوعي وأحزاب أخرى . والنظام البرلماني المعمول به في سوريا هو نظام على الطراز الفرنسي. وبالتالي فقد كانت سوريا هي الأكثر ملاءمة للقوى التقدمية عنها في مصر

. حيث لم يكن هناك أي ديمقراطية في مصر، لم يكن هناك سوى مجموعة من الجنرالات يترأسهم عبدالناصر، وبالنسبة للأحزاب فقد كانت بورجوازية. ولهذا فإننا لم نساند فكرة الوحدة بين البلدين لتتحول إلى الجمهورية العربية المتحدة . من الواضح أن عبدالناصر كان يحاول استنساخ نموذج الاتحاد السوفيتي، أي الوحدة على أسس متساوية، بحيث يكون بمقدور كل الدول العربية الانضمام إلى ذلك الاتحاد وإقامة الدولة العربية العظمي . وبالطبع فقد كان ناصر يقصد أن تكون مصر هي القوة الرائدة في هذا الاتحاد.

نحن لا نعترض على هذا النموذج من الاتحاد والاندماج بهدف توحيد القوى العربية، وهذا سيحدث في وقت ما وسيكون بمثابة ظاهرة تقدمية . ولكننا نعترض على مثل هذا الاتحاد في الوقت الذي كان فيه الحزب الشيوعي في مصر بمثابة جماعة أو خلية سرية، وكان الشيوعيون داخل السجون والمعتقلات، ولم يتمتع الشعب بأي من حقوقه الديمقراطية ؛ ولهذا فقد كان من الطبيعي أنه عندما تتحد مثل هذه الدولة مع سوريا، فلن تعود عليها بأي تقدم . ومن هنا يجيء سبب عدم مساندتنا لهذه الوحدة . ولا أتذكر هنا شكل التصريحات المعلنة لدينا في هذا الشأن وأقصد هنا تلك الصحفية، لأن القادة لم يعترضوا على سياسة عبدالناصر حيث لم يكونوا يرغبون في دفعه بعيدًا عنهم.

أول لقـــاء لخروتشوف مع صحيفة مصريـــة:

حوار مع م. ح. هيكل -رئيس تحرير «صحيفة الأهرام» [١٢]

ن. س. خروتشوف: لقد اطلعت على الأسئلة التي كتبتها لي .

السـؤال الأول: الـذي طرحتـه يتمثل في طبيعـة الأهداف الـتي يعتزم الاتحاد السوفيتي تحقيقها في المجال السياسي، وعلاقته بدول منطقتي الشرق الأوسط والشرق الأدنى.

إذا ما تحدثت بشـكل عـام، فدعني أقول إن سياسـتنا إزاء هاتين المنطقتين هي سياسـة لا تختلف عن السياسـة العامة التي نمارسها لدعم وتوطيد علاقات الصداقـة مـع كافة الـدول لتعزيـز التعايش السـلمي والاسـتقلال في البناء السياسي والاجتماعي لأي دولة وضمان تحقيق السلام في العالم أجمع. ولكن نظراً لأن منطقتي الشرق الأوسط والأدنى يحملان طابعاً خاصاً وأهمية كبيرة ولأن شعوب تلك المناطق عانوا كثيرًا من نير الاستعمار الأجنبي، وهناك بعض الدول وبعض من تلك الشعوب قد تحرروا من قيود هذا الاستعمار والبعض الآخر لم ينل اسـتقلاله حتى الآن، وبالنسبة لهؤلاء الذين حصلوا على الاستقلال فهم لم يحصلوا على اسـتقلال حقيقي وإنما هو اسـتقلال سياسـي فقط . وبعض الدول التي نالت اسـتقلالها فقد اسـتقلت شـكليًا فقط، وفي حقيقة الأمر فإن حكومات تلك الدول التي لا تعكس دائمًا إرادة ورغبات شعوبها العربية، إنما

(١٢) من الأرشـيف الروسـي الحكومي للتاريخ المعاصر، حافظة رقم ٥٢، خروتشوف، ن. س. قائمة رقم ١، موضوع رقم ٦٠٨، السـطور من ١٤٢ – ١٥٨، نسـخة مطبوعة على الآلـة الكاتبة. يوجد في أعلى الوثيقة ملحوظة مكتوبة يدويًا تعود لتاريخ قبل ١٨ يونيه ١٩٥٧ .

obeikandl.com

يمارسون سياستهم فحسب، أي أن تلك الحكومات تنتهج سياسة لصالح الدول التي كانت مستعمرة لهم ولشعوبهم .

ولهذا فإننا نولي اهتمامًا كبيرًا إزاء تلك المناطق وشعوبها وينبع هذا الاهتمام الخاص من أنه هذه الشعوب تطالب بمزيد من العلاقة المتيقظة لأجل بناء علاقة متبادلة مع تلك الدول بهدف تخفيف حجم استقلالهم من خلال تلك العلاقات المتبادلة. وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لكي تستقل تلك الدول العربية ليس فقط على الصعيد السياسي، بل والاقتصادي والثقافي ولابد من دعم حكومات تلك الدول كي تتطور وتنهض كحكومات مستقلة وقائمة بذاتها وقادرة على استيعاب اقتصادها وثقافتها في ظل تلك الظروف التي تحثنا على بذل كل الجهود لأجل دعم علاقاتنا بتلك الحكومات والإبقاء على سياسة لينين القوية في التعايش السلمي وعدم التدخل .

م.ح.هيكل : هل هذه هي الإجابة على السؤال الأول؟

ن.س.خروتشوف : أعتقد أنني أجبت كذلك على سؤالك الثاني لأنه مرتبط بالسؤال الأول.وإذا ما كان لديك أية أسئلة في حاجة لمزيد من الإيضاحات، فإنني على استعداد للإجابة عليها عن طيب خاطر.

م.ح.هيكل: أرجو إذا سمحت لي أن أطرح علي سيادتكم الأسئلة الإضافية في نهاية الحوار. والآن يمكننا الانتقال إلى السؤال الثالث .

ن.س.خروتشوف : إذن أنت ترى أنه الإجابة على السؤالين الأول والثاني هي إجابة وافية .

م.ح.هيكل: السؤال الثالث .ما هي الأسباب الحقيقية من وجهة نظرك التي تقف وراء حالة التوتر التي يشهدها إقليم الشرق الأدنى ؟

obeikandi.com

ن.س.خروتشوف : نرى أن أسباب ذلك التوتر تعود إلى أن قوى الاستعمار قد رضخت أمام نضال وكفاح الشعوب التي كانت تحت وطأة ذلك الاستعمار. ولكنهم لم يرضخوا وأرادوا التظاهر بالفوز وخاصة الإمبريالية الإنجليزية، حتى إن البعض منهم أعلن أنهم سيقضون على مطالب الشعوب المحتلة. غير أن تلك الدعوات محسوبة على هؤلاء من لا علاقة لهم بالسياسة، وإنما اضطروا لفعل ذلك لأنهم أصبحوا غير قادرين على إخضاع تلك الشعوب تحت إمارتهم وإذلالهم أمام قيود وأشكال الاستعمار القديمة.ولهذا فقد رأوا أنه من مصلحتهم الحيلولة دون وصول الوضع إلى حد الأزمة في حالة طردهم من البلاد على أيدى الانتفاضة المسلحة. ومن المعروف أن الإنجليز من المستعمرين المحنكين ولديهم خبرة جيدة في هذا الشأن ولذلك فقد أرادوا النزول على رغبات الشعوب، ولكنهم في الواقع ينظرون بعين الاعتبار إلى الوضع الراهن في تلك الدول المستعمرة، ويعتزمون الانسحاب منها مع الاحتفاظ بنفوذهم بشكل غير مباشر بحيث لا يقوم حاكم منهم بإدارة شئون شعوب تلك الدول، بل يقوم المحتل والمستعمر الإنجليزي بترشيح شخص ما من بين هذا الشعب على أن يكون على صلة وولاء بالنظام الإمبريالي الإنجليزي وكأن الشعب هو الذي يحكم بنفسه ولديه حكومته، غير أن هذه وسيلة لخداع الأفراد المعنيين بالحياة السياسية وهكذا تقوم الحكومة بتنفيذ سياسة المستعمرين وهذا سيكون أفضل حالاً من منح الشعب الاستقلال. وبذلك يكون المستعمر قد نجح سياسياً، حقق مطالب الشعب ولكنه في الواقع جعل هذا الشعب خاضعًا وتابعاً له وقام باستغلال كل مقدرات الشعب وثرواته لصالح الاستعمار. وهكذا تحصل الشعوب على استقلالها، يظهرون إرادتهم ويريدون الحفاظ على ما وصلوا إليه من إنجاز. وهذا يأتي في صراع مع مصالح المستعمر ومن هنا تبدأ حلقة النضال والكفاح. فالشعوب التي تحررت من براثن الاستعمار تقوم بانتخاب حكومات من المفترض وأن تعكس إرادة ورغبة شعوبها. يقوم المستعمر من جانبه بالتصدي لمواجهة هذه الحكومات لأجل إسقاطها وفرض حكوماتهم الموالية لهم. وهذا هو ما أثار صراع المستعمر الإنجليزي والفرنسي

ضد مصر وسوريا وبعض دول الشرق العربي . غير أن حكومتي مصر وسوريا كانا الأكثر مقاومة . وتجيء تلك المقاومة من حرصهم على خدمة شعبهم وعدم السماح للمحتل بالتدخل في شئونهم ولهذا يقوم المحتل بتغيير كافة وسائله في الصراع من خلال عقد المؤامرات، إرسال أفراد مخربين، عملاء بهدف تنفيذ عمليات اغتيال سرية بطرق مختلفة قد تصل إلى حد التسمم، التصفية الجسدية، نشر الأكاذيب والشائعات المغرضة .

من المعروف أن رجال مخابرات الدول الاستعمارية لديهم ترسانة غنية بكل وسائل المقاومة ضد الأفراد والحكومات النزيهة التي تراعي مصالح شعوبها . ولا ننسى أن تلك المناطق غنية بالثروات الطبيعية إلى جانب موقعها الجغرافي المتميز وهو ما تصفه القوى الإمبريالية بالمواقع الإستراتيجية الحيوية . بالنسبة لمصر فلديها قناة السويس التي تعد حلقة وصل، وهي الدولة التي تشرف على الطرق الاقتصادية والسياسية لدول أوروبا لتربطهم مع قارتي آسيا وإفريقيا والدول الأخرى؛ ولهذا نرى أن قوى الاستعمار تريد أن تبقى هذه المناطق بدون أي سيطرة، يكون لديهم حكومات تنفذ سياسة تتوافق مع مصالح الدول الاستعمارية القديمة التي كانت تفرض هيمنتها على مصر، سوريا وباقي الدول العربية .

ولكن هناك صراع يدور الآن وقد تدخلت فيه الولايات المتحدة الأمريكية، التي لا تريد فيه وأن تلعب دور المشاهد فقط، ولهذا عندما اندلع العدوان الثلاثي على مصر من جانب إنجلترا، فرنسا وإسرائيل، أعلنت أمريكا إدانتها لهذا العدوان، ولكن في الواقع إذا ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أدانت هذا العدوان بالفعل، وهي التي تفرض هيمنتها ونفوذها على إنجلترا، فرنسا وإسرائيل، الذين يعيشون على الصدقات والتبرعات، لالتزموا الهدوء والسكينة . واعتقدوا أنه عندما يتم طرح تلك القضية في أروقة منظمة الأمم المتحدة، يكونون قد انتهوا من لعبتهم القذرة وإنشاء حكومة إنجليزية عميلة مؤلفة من العرب .

نتيجة لتحرك الدول المحبة للسلام والاتحاد السوفيتي والاقتراحات التي قدمها الاتحاد السوفيتي للولايات المتحدة الأمريكية التي تدور حول أنه إذا ما كانت الأخيرة تتفق بالفعل على الإدانة الحقيقية لهذا العدوان، فإننا نقترح تقديم عمل عسكري مشترك ضد هؤلاء المعتدين [١٣]، وعلمنا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقبل بهذا الاقتراح، ولكننا أردنا في الوقت نفسه أن نوضح ونكشف للجميع أن هذه سياسة غير صادقة والهدف منها هو تضليل العالم العربي وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تؤوي سياسة هذه الدول.وما حدث كان مجرد عملية لتوزيع المهام والأدوار، حيث يقوم أحدهم بشن عدوان مسلح مباشر والآخر يقف عند دور الإقناع دون اتخاذ أية إجراءات فعلية لوقف هذا العدوان . ولكن تم القضاء علي هذا العدوان الغاشم، نتيجة لمثابرة العالم العربي وعلى رأسه الحكومة المصرية والشعب المصري والشعوب العربية التي وقفت بجانبهم . ونرى أن دور الاتحاد السوفيتي هنا كان مهمًا للغاية و نحن نشعر بالرضاء عنه . والآن بعد أن تم تصفية المستعمر الفرنسي والإنجليزي الذين واصلوا ممارسة سياستهم، تشكل وضعًا غير مستقر و عندئذ قررت الولايات المتحدة الأمريكية تقديم المساعدة، ولكنها أشبه بتلك المساعدة عندما يتم تقديم الحبل للشخص المعلق في الهواء، وأعلنوا ما يُطلق عليه اسم مذهب دالاس – إيزنهاور[١٤]، وأعلنوا أنهم لا يستطيعون تحمل ذلك

(١٣) قامت الحكومة السوفيتية في الخامس من نوفمبر١٩٥٦ بإرسال خطاب إلى قادة الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وإسرائيل تقترح فيها على أمريكا الاستخدام المشترك لقواتهم المسلحة للتصدي للعدوان الثلاثي على مصر وذلك وفقا لقرار منظمة الأمم المتحدة . انظر: . ا.س.برانابوف، كتاب الاتحاد السوفيتي ، أزمة السويس ١٩٥٦ ، موسكو، ١٩٦٩، ص ٢٠٤.

(١٤) مذهب إيزنهاور هو برنامج في السياسة الخارجية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى، تم تطبيقه بعد إفشال العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ والضعف الواضح لوضع الدول الاستعمارية في تلك المناطق. تم تفعيل البرنامج في ظل التحرك النشط لوزيرالخارجية الأمريكي جورج.ف.دالاس وتم تقديم البرنامج لأول مرة في خطاب الرئيس الأمريكي إيزنهاور في ١٥ يناير ١٩٥٧ ثم دخل حيز التنفيذ القانوني في مارس ١٩٥٧ . يهدف البرنامج لدعم موقف الولايات المتحدة الأمريكية في دول الشرق الأوسط والأدنى والتصدي الممنهج لقوى حركة التحرر الوطنية. حصل الرئيس الأمريكي بموجب هذا البرنامج على «حق» تقديم « المساعدة « العسكرية والاقتصادية لدول تلك المناطق واستخدام القوات المسلحة الأمريكية في تلك المناطق حسب رغبتها .

الفـراغ . ولكـن كيف يمكـن الحديث عن وجـود فراغ في منطقتي الشـرق الأوسـط والأدنـى في الوقت الـذي نجد فيه أن تلـك المناطق مـن أكثر المناطق المأهولـة بالسـكان وبهـا جحافل مـن البشـر، حيث ترقـد هنا أقـدم الحضارات الإنسـانية, وبالتالي فإن المسـألة ليسـت في الفراغ . ولكن مفهوم ذلك الفراغ أنهم لا يعترفون بهذا الشـعب ولا بحقوقه لأن هذا الشـعب كان تحت الحماية والوصاية . فالمسـألة مسألة شـكل. وما القالب الذي يحوي هذا الشكل؟ إنهم ينتهجون سياسـة أكثر حداثة فهم يقومون بعمـل قذر.يريدون مواصلة تلك السياسـة ولكنها ليست في صالح المسـتعمر الإنجليزي أو الفرنسي، يريدون جـني ثمارها لصـالح المحتكرين لديهم . فهـم يضعون احتياطـي النفط نصب أعينهم وعندما يفقدون رباطة جأشـهم، فسرعان ما يلجئون إلى الطرق القذرة لأجل الاستحواذ على كل هذه الثروات التي تصبح مصدراً لثراء المحتكرين في الولايات المتحدة الأمريكية . وعندما بدءوا يتحركون ويستعرضون نفوذهم معلنـين مذهب دالاس – إيزنهاور، بدأت الدول العربيـة في المقاومة وأبدت مصر وسوريا الإصرار في المقاومة مرة أخرى مع الاحتفاظ بالكرامة الوطنية وعندها أرادوا إسقاط الحكومة

وعندمـا فشـلوا في ذلـك، بدءوا الحديـث عن حـركات التمـرد للبحث عن الخائنـين داخل البلاد. وبعد فشـلهم أيضًا، أرادوا تنظيـم هجوم على كل من الأردن والعـراق ولكنهـم لم يفلحوا فيه. وسـبب فشـلهم هنـا لا يعود إلى عدم رغبـة حكومتي الأردن والعراق في تنفيذ هـذا العمل القذر، بل يعود إلى عدم ثقة هذه الحكومات في جيوشها . وأعلنوا أنهم إذا ما قدموا الجيش، فإنه سرعان ما سـينضم إلى مصر وسوريا . وهذا أمر مستحيل . فالأمريكان يعلمون جيدًا ما الذي تريده إسـرائيل. فقد كانت إسـرائيل تريد تنفيذ مهمة الجندرمة هذه ولكنهم كانوا يخشون من أن يؤدي هجوم إسرائيل إلى إثارة مشاعر الغضب والاحتجاجـات ؛ ولذلك كانوا يأمرون إسـرائيل بالبقاء صامتـة .وقرروا آنذاك اسـتخدام تركيا، دولة مسـلمة يمكنها تنفيذ الهجوم . ولكنكم تعلمون أن حكومـات الدول العربية قد أبدت تذمرهـا . ولا نريد هنا إغفال الحديث عن

دورنا . فقد بذلنا أقصى جهودنا معلنين التحذيرات المناسبة، محذرين من أنه إذا ما قامت قوى الاستعمار بإشعال فتيل الحرب في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى، فلن نصبح في وضع المشاهد للأحداث ؛ لأنه عندما يتم إشعال نيران الحرب، فمن الممكن أن تضطرم نيرانها لأبعد من ذلك . نحن لا نهدف لتحقيق أهداف اقتصادية ولا سياسية مغرضة، غير أن مصالح الأمن والسلام تتطلب منا متابعة تحركات القوى الاستعمارية والحيلولة دون منحهم فرصة إشعال نيران الحرب للحفاظ على العالم . ومن ثم فقد قمنا بتحذير الحكومة التركية والأمريكية وتوجهنا إلى منظمة الأمم المتحدة والأحزاب الاشتراكية في كل الدول الأعضاء بحلف الناتو، ونرى أنه بفضل دعم ومساندة القوى المحبة للسلام فقد تمت بنجاح إنهاء أول مرحلة لإحباط ذلك العدوان الذي كان مخططا ضد سوريا . ولكن لابد من إظهار اليقظة واتخاذ الحيطة والحذر لأن العدو لم يتراجع طالما أن النفط أصبح في أيدي الشعب، فهو قوة جاذبة مثل المغناطيس، فهو مصدر جذب المحتكرين المتعطشين في الدول الاستعمارية . وسيبحثون عن طرق جديدة للحصول على هذه الثروة الدفينة وبالتالي لابد من القضاء على أية طرق يسلكونها في هذا المضمار.

سنظل من جانبنا أوفياء لسياستنا ومبادئ التعايش السلمي وتقديم الدعم والمساعدة لتلك الدول التي تحررت من براثن وقيود الاستعمار .

وقد كان كل ما سبق بمثابة الأسباب التي تقف وراء حالة التوتر والاعتبارات التي رأيتها من الضروري الحديث عنها وكيف تطورت وما الطرق التي يجب اتباعها لأجل القضاء على مثل هذه الظواهر.

م.ح.هيكل : أريد هنا الإشارة إلى ملحوظة ما، فهناك سؤال يتبادر إلى أذهان البعض حول ذلك الفرق في الاقتراحات التي قدمها الاتحاد السوفيتي أثناء العدوان على مصر وسوريا. فقد أعلن الاتحاد السوفيتي عن إنذاره في غضون أسبوع بعد بداية شن العمليات العسكرية على مصر. أما فيما يتعلق بسوريا، فقد جاء الإنذار قبل وقت طويل من الهجوم عليها ..... بم تفسر هذا الفرق؟

ن. س. خروتشوف : إذا ما نظرت إلى الخطوات التي اتخذناها للحيلولة دون وقوع هذا الهجوم على مصر، لأدركت أننا قمنا بالتحذير ليس بعد الهجوم ولكن قبل شنه بوقت طويل . فهناك خطابات مشهورة ومعروفة للجميع، قمنا بتحذير السفراء أيدن و السيد جي مولي في تلك الخطابات من أنه في حالة وقوع عدوان فإنه سيتم إحباطه . وقد أعربنا عن وجهة نظرنا بعبارات واضحة وصريحة. عندما كنا في ضيافة بولجانين تلبية لدعوة السيد أيدن في إنجلترا [١٥] ومن خلال محادثاتنا مع السيد أيدن والسيد ليود وغيرهم، أعربنا عن رأينا محاولين إبراز حجم الدمار والخراب الذي سيخلفه هذا العدوان الذي تعتزم بريطانيا شنه . غير أن حكومة كل من إنجلترا، فرنسا وإسرائيل كانوا يجتمعون على رغبة واحدة تتمثل في سرعة التخلص من الحكومة المصرية غير الموالية لهم وضمان إنشاء حكومة أخرى تتسم بالطاعة والولاء لإنجلترا وفرنسا ولكنهم لم يفلحوا في ذلك ولم يأخذوا اقتراحاتنا في الاعتبار وشنوا العدوان ولم يجنوا منه إلا الطيش، فهم لم يضروا مصر فقط، بل ضروا أنفسهم لأن فشل هذا العدوان أوضح فشل سياسة وعظمة بريطانيا التي كانت تنعم بها. و نحن من جانبنا قمنا بواجبنا كدولة عظمى للحيلولة دون وقوع الحرب، وإذا ما وقعت فقد كان علينا إيقافها . وتم ذلك بنجاح و نحن نفخر به ونعتقد أن شعوب إنجلترا وفرنسا ينتقدون حكامهم المعتدين على ذلك العدوان .

كان ذلك فيما يتعلق بتاريخ الأحداث التي اندلعت في العام الماضي بمصر ضد الدولة المصرية، والآن يأتي الحديث عن إنذارنا السابق لأوانه لسوريا . بعد النظر بعين الاعتبار إلى تجربة العام الماضي التي تفيد بأن قوى الاستعمار لا تنصت أحيانًا إلى النصائح الجيدة، فقد اتخذنا تلك الإجراءات والتصريحات التي ليس لها سوى تفسير واحد لموقفنا في حال اندلاع حرب في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى, و نحن سعداء لتصرف الحكومة التركية بشكل صحيح ومسئول تجاه تصريحاتنا ولكن لا نخفي كذلك أنه لم تكن الحكومة التركية وحدها هي من اتسمت بالتعقل في هذه المسألة، بل فقد كانت

(١٥) جرت تلك الجولة في أبريل ١٩٥٦ أي قبل أزمة قناة السويس .

هنـاك خطوات جيدة مـن جانب الولايـات المتحدة الأمريكية . فـإذا ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسـتعجل تركيا في المرحلة الأولى لكي تواجه سـوريا بأقصى قـدر ممكن والتنكيل بها في الوقت الـذي اندلعت فيه الحرب علـى مصر، فقـد رأت الأوسـاط الرسميـة الأمريكيـة آنذاك أنه مـن الصعب التغلـب على الشـعوب العربية من خـلال نزهة عسـكرية خفيفة ضد مصر وسـوريا، مما يبشر بمزيد من الضرر وإمكانية شن عملية واحدة (كما ورد في النـص – المؤلف) وهـو ما يروج له المسـتعمر الأمريكي، فهـم يعلنون أنهم لا يسـتبعدون إمكانية انـدلاع حروب صغيرة لأجل ترويع وتهديد الشـعوب المسـالمة التي خرجت من تحت عباءة الولايات المتحدة الأمريكية . فإذا ما كانوا يدفعون بتركيا نحو الحرب، فهم الآن ينصحون بعدم القيام بذلك .

أعتقد أن هذا قد أثر على الأوساط التركية التي فاقت من غفوتها، وأدركت أن هـؤلاء الأصدقاء الأجانـب، الذين يدفعون بهم نحو الحـرب و يحرضونهم ضد جيرانهـم و يحاولون تأجيج العداء ضد تركيا (كما جاء في النص – المؤلف)، ليسوا دائمًا هم من يقود مصالح العالم، بل على النقيض من ذلك، فهم يتربحون من تلك « الحرب الباردة « عن طريق إثارة المخاوف .

هنـاك نتيجة أخرى تتمثل في أن الولايات المتحدة الأمريكية ليسـت دائمًا بتلـك القوة الباطشـة، فهناك قوى أخرى معادية لهـا وأمريكا غير قادرة على مواجهة هذه القوى ؛ ولهذا فإن معالجة القضايا الشائكة لا ينبغي وأن يكون من خلال تأجيج المخاوف وإشـعال فتيل « الحرب الباردة «، بل يكون من خلال الاتفاق على الاعتراف بالمصالح المتبادلة .

نحن سـعداء بانتهاء شـبح الاسـتعمار بدون حرب، بالرغم من عدم وجود أية ضمانـات لإمكانية اندلاعها في أي وقت، لكن من الضروري الالتزام بالتعقل وضبـط النفس. و نحن على يقين من أنه إذا ما تم تعبئة وتجنيد قوى الشـعوب المحبة للسلام بما فيه الشعوب العربية، سيتم إحباط أي عدوان لقوى الاستعمار سواء كان الآن أو في المستقبل .

م. ح. هيكل : عندما تحدثتُ عن إجراءاتكم قبيل شن الهجوم على مصر، هناك احتمال أن يكونوا قد شنوا الهجوم لأنهم لا يعلمون أن لديكم قذائف صاروخية ؟

ن. س. خروتشوف : سبق وأن تحدثنا معهم في هذا الشأن عندما كنا في إنجلترا، وأعلمناهم أن لدينا مثل هذه الصواريخ . نظرًا لأنهم يريدون الآن تهدئة شعوبهم بأن لدينا هذه الصواريخ، دعنا نجري إذن تجارب ميدانية لنرى من يملك صواريخ باليستية ومن لا يملكها، لأن هذا قد أوضح بالفعل أن أمريكا وفرنسا لا يمتلكون مثل هذه الصواريخ الموجودة فقط لدى الاتحاد السوفيتي .

م. ح. هيكل: احتمال أن تكون مثل هذه التجارب المشتركة في غاية الأهمية . ويبدو أن هذا القمر الصناعي[١٦] يعد دليلاً على امتلاك الاتحاد السوفيتي (غير موجود بالنص) ميدان لتجارب الأسلحة.

ن. س. خروتشوف : لا يبدو كذلك، لأن مثل هذه التجارب لا تُرى كثيراً مثلما يقول الروس، فلابد من لمسها، فمن المستحيل رؤية مثل هذا القمر الصناعي لأنه يحلق بعيداً ولكن بمقدورنا أن نعطيهم الفرصة لرؤيته.

أريد الحديث هنا كذلك عن استقلال تركيا، لأنها إحدى دول الجوار بالنسبة لنا ونريد أن نعيش في سلام وصداقة معها. ونأمل من جانبنا أن تقوم تركيا بتأسيس علاقاتها مع كافة دول الجوار على أساس مبدأ الصداقة والسلام . ولكننا نأسف على عدم وجود مبدأ الصداقة في علاقاتنا معها، فهي تقول إنها لا تريد محاربتنا، وهذا أمر بديهي، نظراً لاختلاف توازن القوى فيما بيننا . ولا نريد أن تعتمد تركيا على هذا المبدأ في علاقاتها مع باقي دول الجوار. فإذا ما كنا نعتبر أنفسنا دولة عظمى في تعاملنا مع تركيا، فهذا

(١٦) تم إطلاق أول قمر صناعي سوفيتي من كوكب الأرض في ٤ أكتوبر ١٩٥٧، أي قبيل حوار هيكل مع خروتشوف .

لكي تقوم تركيا هي الأخرى بانتهاج هذا المبدأ في علاقاتها المتبادلة مع دول الجوار، التي تعد دولاً صغيرة أمام تركيا وأن تحترم استقلالهم وعدم التدخل في شئونهم . و نحن نلتزم بمبدأ واحد سواء كان في علاقاتنا مع تركيا او مع باقي الدول الأخرى، يتمثل هذا المبدأ في عدم الهجوم، التصدي للحرب، عدم التدخل، بناء العلاقات وتطويرها على كافة الأصعدة : الثقافية، التجارية، وإقامة علاقات صداقة مع كافة الدول . هذا فيما يتعلق بالإجابة على السؤال الثالث والآن ننتقل إلى السؤال الرابع .

م. ح. هيكل: بالفعل هذه إجابة وافية وشاملة للسؤال الثالث، أما السؤال الرابع فهو يتعلق بمنطقتي الشرق الأوسط والأدنى الذي ازدادت أهميتهم الآن عن ذي قبل .

ن. س. خروتشوف : تُرى ما الذي يمكنني قوله للإجابة على هذا السؤال . فإن مجمل تصريحاتي والتصريحات الحكومية السابقة كانت تدور حول رؤيتنا لأهمية وضرورة الوصول إلى تصفية « الحرب الباردة « وضمان التعايش السلمي والتنافس في ذلك بين كل الدول باستخدام كافة الإمكانيات بصرف النظر عن الأنظمة السياسية التي تحكم تلك الدول . كل ذلك لأجل توضيح أفضل النظم للمعيشة والتي تلبي متطلبات وأمنيات الشعوب سواء كانت مطالب مادية او معنوية, وهذا هو مبدأ التعايش السلمي، الذي ليس له وجود حتى الآن في الأوساط الحكومية للدول الاستعمارية وبالرغم من ذلك فالحياة تمضي وتسير و» الحرب الباردة « مستمرة. فهي تمثل عبئًا على كاهل الشعوب التي تأمل في حياة هادئة لا يكتنفها القلق الدائم . فلا أحد يأمل أن ينهض من سباته على صوت انفجار أوان يجد نفسه مصابًا أو مكلومًا من ذلك الانفجار. لابد من الاتفاق مع الدول لكي نبرهن لهم أن هذه السياسة هي سياسة رعناء طائشة عندما تُنتهج من موضع القوة ولابد من توضيح تلك المصطلحات مثل «على أعتاب الحرب» التي تستخدمها القوى الإمبريالية الكبرى . من الضروري عمل لقاءات واتفاقات لأجل تهدئة الأجواء ليس فقط بالكلام، بل بالأفعال .

و نحن من جانبنا بذلنا قصارى جهدنا وسبق وإن أبرمنا اتفاق سلام مع النمسا وقمنا بسحب قواتنا من هناك، كما تخلينا عن قاعدتنا العسكرية في فنلندا، وقمنا بتقليص عدد قواتنا المسلحة إلى مليون وثمانمائة ألف جندي، تخلينا كذلك عن القاعدة العسكرية في الصين وسحبنا قواتنا من هناك . وقعنا على اتفاق لإنهاء حالة الحرب مع اليابان وألمانيا، وأبرمنا اتفاق آخر وتغلبنا على الخلاف الذي كان ناشباً مع يوغسلافيا وتغلبنا على كافة الإشكالات التي كانت سببًا وراء تفاقم العلاقات فيما بيننا .

تقدمنا كذلك باقتراحات حول نزع السلاح، حظر استخدام الأسلحة الذرية والهيدروجينية، وحظر إجراء مثل تلك التجارب .

لن أعدد كل تلك الجهود التي بذلناها والخطوات التي اتخذناها، فهي كثيرة للغاية ولكنها جميعًا تنطلق من مبدأ واحد وهو ضمان التعايش السلمي، تجنب الحروب، استبعاد اتخاذ أي قرار يؤدي إلى إشعال نيران الحرب لمعالجة أي مشكلة شائكة .

لا أعلم ما مدى واقعية هذا اللقاء، غير أن الواضح من خلال تصريحات تلك الحكومات أنها تتعامل بشكل سلبي إزاء هذا اللقاء وتعلن عن ضرورة قيامنا بتقديم الأدلة والبراهين . ولكننا قمنا بالفعل بتقديم تلك الأدلة، ولكنهم يريدون أن نقدم تنازلات سياسية . والمقصود هنا بمصطلح تنازلات سياسية أي أن نتخلى عن نظام الحكم لدينا لصالح الأنظمة الاستعمارية . ولكنك لا ترى هيمنة ونفوذ تلك الأنظمة الإمبريالية التي تقف على موضع «الحرب الباردة»، تمامًا مثل الشخص الذي لا يستطيع رؤية أذنيه إلا من خلال المرآة . لابد من الانطلاق من واقع السياسة الحقيقية والاعتراف بالوضع الراهن وإيجاد عالمين : العالم الاشتراكي والآخر الرأسمالي في محاولة للتغلب على كافة الأسباب والعراقيل التي تنشئ علاقات غير سوية . ومازالت الفرصة متاحة لأجل القضاء على «الحرب الباردة» والانتقال إلى وضع التعايش السلمي وتطوير علاقات الصداقة بين الدول على أساس المبادئ الخمسة الخاصة بعدم التدخل،

التي وضعتها الصين والهند وتم الاعتراف بهم في مؤتمر باندونج [١٧].

والسؤال الآن هو كيف انعكس ذلك على منطقتي الشرق الأوسط والأدنى؟ نحن لم نفرق مطلقًا بين الشرق الأوسط، والشرق الأدنى، الشمال والجنوب والغرب. فكل تلك المناطق بصرف النظر عن مسمياتها تريد تحقيق السلام والهدوء. وأرى أن ما تروج له القوى الإمبريالية بشأن أننا نريد الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية لأجل تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ نتقاسم السيطرة عليها فيما بيننا، فهذا يعد هراء من اختراع وابتكار قوى الاستعمار التي ترى نفسها ملاكاً للعبيد، ويفكرون دائمًا في أنهم طالما أقوياء، فيجب عليهم امتلاك كل شيء والعيش على حساب الآخرين.

إن دولتنا لا تسمح بالتواطؤ مع دول أخرى، سواء كانت قوية أو ضعيفة لأجل إضرار دولة ثالثة أو التواطؤ مع دول قوية على حساب دول نامية. فنحن نصر في كافة مفاوضاتنا على مبادئ عدم التدخل والمساعدة في تعزيز استقلال الدول، تطوير اقتصادها لأجل تحسين مستوى المعيشة والمستوى الثقافي لديهم.

م.ح.هيكل: أشكر سعادتكم على ذلك. ولكن لدى سؤال آخر، إذا ما شعرت بعدم الرغبة في الإجابة عليه، فأعتبر أنه لم يُطرح من الأساس. أثناء حديثك مع المشير عامر قلت إن السياسة السوفيتية في علاقاتها مع مصر تعتمد على مبادئ محددة ولا ترتبط بأسماء أفراد، ولكن في بعض الأوقات كانت تلك السياسة مقترنة باسم شبيلوف....

ن.س.خروتشوف: نعم هذا صحيح.

---

(١٧) تم اتخاذ المبادئ الخمسة للتعايش السلمي في إطار الاتفاق المبرم بين الهند والصين لتسوية النزاع حول منطقة التبت في عام ١٩٥٤، وتدور هذه المبادئ حول: الاحترام المتبادل لوحدة وسيادة الأراضي الإقليمية، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشئون الداخلية، والمساواة وحق الانتفاع المتبادل، والتعايش السلمي. وقد تم إدراج هذه المبادئ مع المبادئ العشرة للتعايش السلمي في الوثيقة الختامية للمؤتمر الذي شارك فيه ٢٩ دولة من قارتي آسيا وإفريقيا، وانعقد في باندونج بإندونيسيا في الفترة من ١٨-٢٤ أبريل ١٩٥٥.

obeikandl.com

م.ح.هيكل: هذا يروق لي كثيراً.يبدو وأنني قد تجاوزت الوقت المسموح به، أريد أن أشكر سعادتكم على كرم أخلاقكم ورحابة صدركم. ولي رجاء لديكم، أن يُحجز لي مقعد لمشاهدة إطلاق أول صاروخ إلى القمر. فالكثير من المصريين ينتظرون تلك اللحظة.

ن. س. خروتشوف : دعنا لا نتعجل الأمور، ولنتأكد أولاً من تهيئة الظروف على الأرض وسيتم إعداد النواحي الفنية بشكل أفضل ..

م. ح. هيكل: خالص الشكر لسعادتكم.

obeikandl.com

حوار مع ن. س. خروتشوف[١٨]

لقد طلبتُ إجراء لقاء مع السيد خروتشوف، ولكنهم أبلغوني بالموافقة في اليوم الأخير لي بموسكو. طلبوا منى تحضير الأسئلة، ولكني اقترحت خمسة موضوعات للنقاش بدلاً من الأسئلة لأنني أردت أن يكون حواراً مفتوحاً قدر الإمكان. قادوني إلى مبنى اللجنة المركزية، كان هناك عقيد يقف إلى جانب المصعد يحمل المفتاح، ذلك المصعد يقود إلى مكتب السكرتير الأول وهو المكتب الذي كان يشغله لينين لوقت ما. جلس خروتشوف على مقعده، أو بالأحرى على مقعد لينين، وكان يتحدث بعزة وفخر وهي عادته دائماً. يوجد على المكتب العلم السوفيتي ونموذج للطائرة النفاثة «تو ١٥٤» التي كانوا قد انتهوا للتو من تصنيعها [١٩]. وهناك مائدة منفصلة يوجد عليها شوكولاته ومياه. وكان معنا في الغرفة مترجم لغة إنجليزية والسكرتير. ظل خروتشوف يتفحص الورق المطبوع جيداً ونظر تجاهي وسألني: «أسئلتك ليست محددة».

قلتُ له: «أعلم ذلك، إنها مجرد موضوعات للمناقشة «ثم أشرت إلى الورق الذي يمسكه بيده، وقلتُ له: «هل كل هذه الأوراق خاصة بأسئلتي؟». أجاب خروتشوف: «لا أنها بيانات عنك». اندهشتُ قائلاً: «وما المكتوب عني فيها إذن؟».

خروتشوف: «جاء فيها أنك صديق لناصر، وصديق ناصر يعني أن يكون صديقي أنا شخصياً».

---

(18) **Heikal, Mohamed. Sphinx and Commissar,P. 83-85.**

(١٩) من المرجح أن يكون المؤلِّف قد أخطأ وأن نموذج تلك الطائرة يعود لطائرة " تو-١٠٤".

obeikandl.com

أجبتُ قائلاً: «حسنا جداً، غير أن هذه المعلومات لا تتعدى ثلاثة أسطر، فماذا يوجد أيضًا في هذه الأوراق ؟». قال خروتشوف : «جاء فيها أنك لا تحب الشيوعيين» . اعترضتُ قائلاً: «هذا ليس صحيحاً سيادة الرئيس، فاختلافي مع الشيوعيين في أحد المواقف لا يعني أنني أكرههم، فأنا لدى أصدقاء كثيرون شيوعيون».

عاد خروتشوف إلى اتهامه مرة ثانية وسألني : « لماذا لا تحب الشيوعيين إذن ؟»

سألته : «هل يمكنني الحديث بصراحة ؟» ، وسمح لي بالحديث عن واقعة ستيبانوفسكي[٢٠]. « لا أستطيع أن أفهم دولة تقوم بتقييد أحلام مواطنيها». أجاب خروتشوف : «أنت لا تفهمنا جيداً، فقد أتيت وتجولت بعينك فقط، ولكنك نسيت أننا فقدنا عشرين مليون من مواطنينا في الحرب، نسيت أن منازلنا قد دُمرت. هؤلاء هم مواطنونا وجيشنا وليست المعونة الأمريكية هي من قادت الحرب وانتصرت فيها . لقد كنا مضطرين لوضع أولويات في كل أمورنا، وإذا ما أردت ان تحكم بشكل حاسم على دولتنا، عليك إذن أن تنظر إلى كل ما قمنا به بعد الحرب».

ملحوظة : قبل إجراء اللقاء طلبت السماح لي بالتدخين، وقد أتوا لي بسيجار أدخنه الآن .

سأل خروتشوف فجأة : «هل أنت رأسمالي ؟ فلماذا تدخن السيجار إذن ؟» -أجبته قائلاً: « لأنني أحب السيجار «. سرعان ما أخذ خروتشوف السيجار من يدي وأطفأه في الطفاية وعندما بدأت أعترض، قال خروتشوف : «إن تدخين السيجار من عادات الرأسماليين، وأنت لست رأسمالياً، فأنت صديق عبد الناصر . أحسنت، فلنكمل حوارنا».

---

(٢٠) ستيبانوفسكي هو أحد موظفي وزارة الخارجية الروسية، كان يرافق هيكل وسأله هيكل ذات مرة : " هل تحلم أن يكون لديك منزل خاص وسيارة ؟"، اجاب ستيبانوفسكي : " لا أحلم بذلك، لان مستوى دخلي قليل جدا ولا يسمح لي بامتلاك سيارة, ولكني اعتزم شراء موتوسيكلاً لأنه يتناسب مع مستواي" . (**Heikal ,Mohamed.Op.cit,p.81**),

obeikandi.com

في المرة التالية عندما كنتُ أجري حواراً مع خروتشوف في عام ١٩٥٨، لم آخذ السيجار معي. سألني خروتشوف : «أين السيجار، لأنني أعتزم إطفاءه مرة ثانية». ولكن في عام ١٩٦٣ عندما قدمت إلى موسكو مرة أخرى، أهداني خروتشوف علبة سيجار فاخر من أجود الأنواع، قلتُ له : «سيادة الرئيس إنني مندهش، ألا تذكر ماذا فعلت مع السيجار الخاص بي في المرة الماضية؟، لماذا تغيرت ؟».

أجاب خروتشوف : « إنني لم أتغير، وأن ما تغير هو نوع السيجار، فمنذ اندلاع الثورة في كوبا، وقد تحولوا إلى تدخين سيجار ماركس – لينين «.

تم نشر مضمون لقائي الأول مع خروتشوف في صحيفة « الأهرام « ولهذا السبب فقد تعرضتُ لنقد أعمي في صحيفة « برافدا»، ولم يكن النقد حول اللقاء، وإنما بسبب كلماتي التي تفوهت بها، حيث إنني وصفت خروتشوف بأنه « القيصر الأحمر».وإنني أتفق على أن هذا الوصف لم يكن في محله وكان يفتقر إلى اللباقة، ولكنه كان كافياً لكي ينصب فوق رأسي غضب السوفييت .

obeikandl.com